

## سيمائية الخطاب القرآني بين التشاكل والتباين (قصة آدم عليه السلام أنموذجاً)

د. رضا عبد السلام الشناوي  
كلية الإلهيات، جامعة صقاريا، تركيا  
البريد الإلكتروني:  
redaelsayed@sakarya.edu.tr  
معرف (أوركيد):  
000379X-0001-8941-379X

نسرین عقلة  
طالبة دكتوراه لغة عربية جامعة صقاريا، تركيا  
البريد الإلكتروني:  
mousa.oqlah@ogr.sakarya.edu.tr  
معرف (أوركيد):  
0000-0003-2271-1690

بحث أصيل الاستلام: ٢٠٢٦-١-٢٨ القبول: ٢٠٢٦-٢-٢١ النشر: ٢٠٢٦-٤-٣٠

### الملخص:

يتخذ هذا البحث من قصة سيدنا آدم عليه السلام في الخطاب القرآني أنموذجاً تطبيقياً لتحليل بنيتها الدلالية، اعتماداً على أنساقها النصية، وسعيًا لاكتشاف نظامها العلاماتي، حيث ينطلق التحليل من تتبع التحولات البنائية للقصة، من مشهد الخلق والاستخلاف، وصولاً إلى مشهدي التعليم والابتلاء، مستثمرًا أدوات السيمائية الإجرائية (التشاكل والتباين) للكشف عن انتظام العلامات، ورصد علاقات التماثل والتقابل المؤسسة للدلالة العميقة، كما يوظف المربع السيمائي لضبط علاقات التضاد والتقابل والتكامل بين الوحدات الدلالية، مبرزاً آليات الانسجام الدلالي داخل القصة الأدمية، رغم تعدد صيغ العرض وتفرق المشاهد، وقد ركزت الدراسة على تحليل ثنائيات مركزية منها: (الملائكة وإبليس) في سياق السجود، الأمر والنهي في مشهد الجنة، وثنائية العلم والمعرفة في مشهد تعليم الأسماء، والطاعة والمعصية في تمثيل الموقف الإنساني الأول، تبياناً لدور هذه الوحدات في بناء المعنى وتوجيه الدلالة داخل النسق القصصي القرآني.

الكلمات المفتاحية:

السيمائية؛ الخطاب القرآني؛ قصة سيدنا آدم عليه السلام؛ المربع السيمائي؛ التشاكل والتباين الدلالي.

للاستشهاد: / Atif için / For Citation: نسرین، الشناوي، رضا. (٢٠٢٦). سيمائية الخطاب القرآني بين التشاكل والتباين قصة آدم عليه السلام أنموذجاً. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج ٧، ع ١٣، ١٩١ - ٢٣٣ / <https://www.daadjournal.com>

## The Semiotics of Qur'anic Discourse

### Isotopy and Contrast in the Adamic Narrative

**Nisreen OQLAH**

**Reda Abdelsalam ELSHENAWY**

PhD student, Sakarya University, Türkiye

Sakarya University, Türkiye

E-mail

E-mail

mousa.oqlah@sakarya.edu.tr

redaelsayed@sakarya.edu.tr

Orcid ID

Orcid ID

0000-0003-2271-1690

0000-0001-8941-379X

Research Article Received: 28.01.2026 Accepted: 21.02.2026 Published: 30.04.2026

#### **Abstract:**

This study examines the Adamic narrative in the Qur'an as a model for analyzing semantic structure within Qur'anic discourse. Drawing on semiotic tools, particularly isotopy, contrast, and the semiotic square, it traces the narrative's structural transformations from creation and vicegerency to instruction and trial.

The analysis explores how recurrent signs, oppositional relations, and semantic correspondences generate deep meaning and textual coherence across the dispersed Qur'anic scenes of the Adam narrative. Particular attention is given to central semantic pairings, including the angels and Iblis, command and prohibition, knowledge and naming, and obedience and disobedience. The study argues that these units do not function as isolated narrative elements, but as interrelated signs that organize meaning and guide interpretation within the Qur'anic narrative system.

#### **Keyword:**

Semiotics; Qur'anic Discourse; The Adamic Narrative; The Semiotic Square; Semantic Isotopy and Contrast.

## تقديم:

إن قصة آدم عليه السلام من أكثر القصص القرآني كثافةً من حيث البناء الجمالي وتعدّد مستويات الدلالة؛ إذ تمثل لحظة تأسيسية في تصور القرآن للإنسان، وتُعرض من خلال مشاهد متتابعة وحوار علويّ يتجاوز الإخبار إلى كشف المعنى.

وينطلق هذا البحث من مساءلة كيفية تشكّل هذا الانسجام الدلالي داخل القصة الأدمية، على الرغم من تفرّق مشاهدتها وتعدّد صيغ عرضها، وذلك من خلال مقارنة سيميائية تضع النص القرآني في مركز التحليل، وتتعامل مع تنوّعه بوصفه استراتيجية دلالية لا تعارضاً في المعنى، فالخطاب القرآني، في عرضه لقصة آدم عليه السلام، يعيد بناء الحدث الواحد في صيغ متعددة، تبرز في كل موضع جانباً دلاليّاً خاصّاً، مع المحافظة على وحدة المعنى الكلي.

وفي هذا السياق، تسعى الدراسة إلى الكشف عن آليات الترابط والانتظام الدلالي التي تحكم القصة، من خلال تتبع علاقات التشاكل والتباين بين وحداتها اللغوية والسردية، وتحليل كيفية انتظام هذه العلاقات في إنتاج معنى متماسك عبر السور المختلفة، دون الخروج عن النسق العام للخطاب القرآني، ويزداد هذا الانسجام وضوحاً عند التدبر في القصص القرآني، ولا سيما قصة آدم عليه السلام، التي تكررت في سبع سور، وجاءت في كل موضع بصياغة مخصوصة مناسبة للمقام، وسياق دلالي مغاير من غير أن يؤدي هذا التكرار إلى اضطراب في المعنى، إنما هذا التنوّع السردية يكشف عن نظام دلالي قائم على التشاكل والتباين؛ حيث تكررت العناصر الكبرى للقصة، لتشعرك أنك أمام قصة جديدة، وتبدل في الوقت ذاته زوايا العرض ووظائف العلامات، تبعاً للمقام الخطابي ومقتضى الحال.

وقصة آدم عليه السلام تعد من القصص القرآني «المفتوح المختزل»، فالمقصود بالمفتوح ورود القصة في أكثر من سورة، وأما بالمختزل فلأنها لم تأت كاملة، ولكنها ركزت على أهم لأحداث في القصة، وهذا ما يسمى بالقصة القطاعية<sup>(١)</sup>، ومن هنا، لا يمكن فهم هذا التعدد بوصفه اختلافاً في القول، وإنما هو تنوع سيميائي يعيد توزيع الدلالات، ويُفعل شبكة من العلامات السردية والرمزية التي تسهم في بناء المعنى

(١) الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي: ٧٢.

وتوجيه التلقي، فالمكان، والزمان، والشخصيات، والأحداث، والحوارات، تتحرك داخل القصة وفق علاقات تشاكل وتباين، تنتج دلالة مركبة، تتجاوز مستوى الحكاية إلى مستوى الرمز والوظيفة المعرفية.

وانطلاقاً من هذا التصور، يسعى هذا البحث إلى مقارنة قصة آدم عليه السلام مقارنة سيميائية سردية، ترصد آليات التشاكل والتباين في بنية القصة، وتكشف عن دورها في تشكيل المعنى، بداية من لحظة الخلق، والاستخلاف، وصولاً بتجربة الابتلاء.

### إشكالية البحث وفرضياته:

وتكمن إشكالية البحث في محاولة الكشف عن آليات السيميائية التي تنظم بناء المعنى في قصة آدم عليه السلام بالتركيز على جدلية التشاكل (الانسجام والوحدة الدلالية) والتباين (الاختلاف والتحول السردية)، ويمكن بلورة المشكلة في التساؤلات الآتية:

ما المسارات السردية التي تشكلت من خلالها قصة آدم عليه السلام؟ وكيف استطاع النص القرآني الحفاظ على تشاكل دلالي (Isotopy) يربط بين نصوص القصة الموزعة في السور السبع؟

كيف تجلّى التباين السيميائي في بنية القصة من خلال التقابلات الضدية؟ وكيف ساهمت هذه التباينات في دفع السرد لآدم عليه السلام من حالة الاتصال بالجنة إلى حالة الانفصال بالهبوط ثم الاتصال مجدداً بالتوبة؟

### منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستنداً إلى أدوات سيميائية إجرائية تفرضها طبيعة قصة سيدنا آدم عليه السلام في الخطاب القرآني، لما تتسم به من تعدد المشاهد وتنوع صيغ العرض عبر سور مختلفة، وقد استدعى هذا التعدد اعتماد مقارنة منهجية تكاملية تنطلق من حاجيات النص، وتهدف إلى الكشف عن انتظامه الدلالي الداخلي، وتنهض المقاربة السيميائية برصد آليات التشاكل الضامنة لانسجام

القصة، والتباين المحرّك للتوتر الدلالي، بينما تُسهم المقاربة السردية في تتبّع البنية الحكائية وتمظهر الأدوار السردية داخل المشاهد المتكرّرة، كما تُستحضر المقاربة التداولية لبيان علاقة الخطاب بالمقام، وأثر هذه البنى في توجيه التلقي وبناء الدلالة، وتُطبّق هذه الرؤية على مواضع القصة في السور السبع: (البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، وص).

### الدراسات السابقة:

لقد حظيت قصة آدم عليه السلام بعناية الباحثين من زوايا منهجية متعددة، ومن الدراسات التي قاربت موضوع البحث الآتي:

١ - دراسة بعنوان: «أسلوب الحوار في قصة آدم عليه السلام وأهميته من خلال سورة البقرة: دراسة موضوعية: ل جيهان عبد الوهاب صبان، جامعة أم القرى، وركزت هذه الدراسة على الجانب الموضوعي والبياني في الحوار، متتبعةً المقاصد التربوية والعقدية المستنبطة من المحاورات التي جرت في سورة البقرة، مع الوقوف على دلالات الألفاظ وأثرها في توضيح معاني الاستخلاف.

٢- دراسة بعنوان: «البعد السيميائي لحجاجية البنية السردية في القصص القرآني: قصة آدم عليه السلام في سورة الأعراف أنموذجاً» ل عقيل عبد الزهرة، جامعة الكوفة، وقد عنيت هذه الدراسة بالكشف عن الآليات السيميائية التي تجعل من السرد القرآني خطاباً حجاجياً بامتياز، مبرزةً كيف تتضافر البنية السردية والعناصر القصصية في سورة الأعراف لتوجيه الحجج وإقناع المتلقي بالحقائق الكبرى التي يطرحها النص.

وتتقابل هذه الدراسة مع الجهود السابقة في موضوعها قصة آدم عليه السلام، ومنهجها السيميائي، غير أنّها تختلف عنها من حيث زاوية المعالجة ونطاق التحليل؛ إذ تتجاوز الاقتصار على سورة بعينها، لتستقرئ القصة في السور السبع، مما يتيح رصد «التشاكل والتباين» في سياقاتها المتعددة، كما تنفرد إيجاباً بتفكيك البنى المنطقية العميقة عبر المربع السيميائي، متجاوزةً التحليل الحجاجي أو الموضوعي المحض، لثبتت في النهاية أن «مبدأ الاستخلاف والابتلاء» هو المحرك الدلالي الكلي الذي تنتظم خلفه كافة الوحدات اللغوية، مما يحقق توازناً بين دقة الأدوات السيميائية الحديثة وعمق المقاصد القرآنية.

## هيكل البحث:

وقد اقتضت الدراسة تقسيمها إلى أربعة مطالب، المطلب الأول التمهيدي: ذكرت فيه تعريف مصطلحات البحث، والمطلب الثاني بعنوان: تشاكل الأصل، مشهد الخلق وإعلان الخلافة، والمطلب الثالث، سيميائية الطاعة والعصيان (انكسار التشاكل في مشهد السجود، والمطلب الرابع بعنوان: سيميائية النهي والتحذير، وسر النداء والاختبار، وأردفته بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، يليها المصادر والمراجع.

### ١- تعريف مصطلحات البحث:

#### ١-١ السيميائية (مفهومها ونشأتها):

تعرف السيميائية في الترجمة العربية باسمي (السيمبوتيقا) و (السيمبولوجيا)، التي ظهرت في بدايات القرن العشرين على يد العالم الفرنسي (دي سوسير F.DE SAUSSURE). وأطلق عليه مصطلح (السيمبولوجيا/semiology) في كتابه (علم اللغة العام) «وهو يعني علم الدلالة الذي يختص بدراسة العلامات، والسيميائية «علم الإشارات» فاللغة نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار، وموضوعها دراسة حياة هذه الإشارات في المجتمع»<sup>(١)</sup>.

ارتكز مفهوم السيميائية منذ نشأتها بشكل أساس حول دراسة العلامة بوصفها وحدة دلالية تنتج المعنى داخل نسق تواصلية، فالعلامة لا وجود لها إلا داخل نظامها، «وهذه العلامة تمكننا من التوصل إلى استنتاجات بشأن أمر خفي»<sup>(٢)</sup>، وهي عنده وحدة ثنائية تتكون من دال (صورة صوتية) ومدلول (صورة ذهنية) ودلالة العلامة هي الناتج من تداخل العنصرين (الدال والمدلول)، «والدلالة إذن هي حاصل اقتران شيئين متلازمين بوصفهما طرفي العلامة، أحدهما محسوس وهو الدال، والآخر غائب عن الحس وهو المدلول، فالعلامة في حقيقة أمرها هي اقتران تلازمي بين الدال والمدلول لأجل حصول الدلالة»<sup>(٣)</sup>.

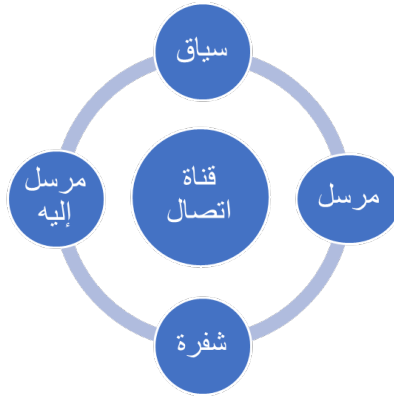
(١) علم اللغة العام: ٣٤.

(٢) السيميائية وفلسفة اللغة: ٤٦.

(٣) العلامات في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية: ٦١.

وقد تجاوزت السيميائية حدود اللفظ إلى دراسة كل ما يمكن أن يحمل دلالة، سواء كان لغوياً أم غير لغوي، «فأي شيء في الوجود يمكن أن يكون علامة إذا رأينا أنه يدل على معنى ما»<sup>(١)</sup>، فمجال علم السيميولوجيا يقوم على كشف الجماليات في النص من خلال إبراز خواصه الداخلية.

ومن هنا غدت السيميائية أداة تحليلية تكشف آليات انشغال المعنى في الخطابات المختلفة، عبر تتبع أنماط التمثيل والتحويل والتشاكل والتقابل، من خلال ما يسمى باسم دائرة التواصل التي يعتمد عليها النقد في تحليل العلامات، وتتكون من:



وتعتمد السيميائية في تحليل الخطاب السردى على البنيتين السطحية، والعميقة، وبيان ما بينهما من دلالات وعلاقات، لكن جُلّ تركيزها على النص الداخلي، لفك الرموز الموجودة داخل الخطاب من أجل فهم آليات إنتاج المعنى، فليست كل قراءة مقبولة، وليس كل التأويلات عشوائية، بل هناك عمق دلالي حقيقي يجب الوصول إليه، «فهي تطمح إلى هدم المعيارية الثابتة للنقد، ورفض سلطة التأويل النهائي، وفتح النص أمام قراءات متعددة منضبة، ونفي التوثيقية، ونزوع إلى تفكيك النص وتشريحه، وفق أدوات إجرائية تستند إلى رصيد معرفي، وخبرات قرائية متنوعة»<sup>(٢)</sup>.

وفي حدود هذا البحث، لا تُستدعى السيميائية إلا بقدر ما تخدم تحليل الخطاب القرآني، ولا سيما قصة سيدنا آدم عليه السلام، من حيث ما تتسم به من تكرار دلالي منظم، ومن تقابلات بنوية تُسهّم في توجيه المعنى عبر سياقات متعددة، ومن ثم يتركز

(١) أسس السيميائية: ٤٣.

(٢) دلالية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري: ٣٣.

الاشتغال السيميائي على مفهومي التشاكل بوصفه آلية لضمان الانسجام الدلالي، والتباين بوصفه آلية مولدة للتوتر الدلالي داخل بنية القصة.

وبالتأمل في الذكر الحكيم نجد أن القرآن الكريم ذكر ألفاظ (السيما والسيمة والعلامة) في مواضع متعددة دالة على الأثر والدليل والعلامة التي تكشف عن المعنى كما في قوله تعالى: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ<sup>(١)</sup>) وقوله تعالى: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ<sup>(٢)</sup>) وقوله تعالى: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ<sup>(٣)</sup>).

وتشكل ألفاظ (السيما والسيمة والعلامة) مفاتيح إجرائية بالغة الأهمية لفهم بنية المعنى في الخطاب القرآني، إذ لا تنحصر وظيفتها على الإشارة اللغوية المباشرة، بل تمتد لتشكل أبعاداً إدراكية وسياقية تسهم في توجيه الدلالة داخل النص، وهي بذلك تكشف عن وظيفة العلامة في بناء المعنى وإحكام انتظامه (التشاكل)، مما يمنح المقاربة السيميائية مسوغاً منهجياً بوصفها أداة إجرائية لتحليل النص القرآني، واستنطاق دلالاته الكامنة في بنيته العميقة.

كما أن التراث النقدي والبلاغي زاخر بتأصيل لمفهوم العلامات والدلالات، وقد تنبه العلماء القدامى في وقت مبكر لاستخدام العلامات قبل ظهورها في الغرب، ومن بين هؤلاء العلماء الجاحظ، الذي أولى العلامة مكانة رئيسة في التواصل البشري، فالتواصل عنده لفظي وغير لفظي، معتبراً الإشارات أدوات لا تقل شأنًا عن اللغة المنطوقة، يقول في البيان والتبيين: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة...، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الفتح: ٢٩/٤٨.

(٢) سورة الرحمن: ٤١/٥٥.

(٣) سورة النحل: ١٦/١٦.

(٤) البيان والتبيين: ٧٦/١.

## ٢-١- ماهية التشاكل والتباين:

## ١-٢-١- التشاكل:

التشاكل لغة: جاء في كتاب العين: «وَالشَّكْلُ: المثل، يقال: هذا على شَكْلِ هذا، أي: على مثل هذا. وفلان شَكْلُ فلان، أي: مثله في حالاته، وقوله عز وجل: «وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا»<sup>(١)</sup> يعني بالشكل ضرباً من العذاب على شَكْلِ الحميم»<sup>(٢)</sup>، «وَالْمُشَاكَلَةُ: المُوَافَقَةُ، وَالتَّشَاكُلُ مِثْلُهُ. وَالشَّكَاكِلَةُ: النَّاحِيَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَالجَدِيدَةُ. وَشَاكَلَهُ الْإِنْسَانُ: شَكَّلَهُ وَنَاحَيْتُهُ وَطَرِيقَتُهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلَتِهِ»<sup>(٣)</sup>؛ أَي عَلَى طَرِيقَتِهِ وَجَدِيدَتِهِ وَمَذْهَبِهِ؛ وَقَالَ الْأَخْفَشُ: عَلَى شَاكَلَتِهِ أَي عَلَى نَاحِيَّتِهِ وَجِهَتِهِ وَخَلِيقَتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وفي معجم المصطلحات البلاغية جاء التشاكل تحت عنوان (المشاكله) وهو (الشكل): الشبه والمثل، وقد تشاكل الشيطان، وشاكل كل واحد منهما صاحبه»<sup>(٥)</sup>.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن المادة المعجمية لمصطلح (التشاكل) تدور حول المماثلة، والمشابهة، والموافقة بين الألفاظ التي تؤدي إلى تكثيف الدلالة وتماسك النص.

التشاكل اصطلاحاً: يقصد بالتشاكل «مجموعة من السيمات السياقية أو الكلاسيكات المتكررة والمتردة بشكل متواتر داخل خطاب أو نص ما، وهو الذي يحقق انسجام النص، ويزيل عنه غموضه وإبهامه الدلالي، ويعني هذا أن التشاكل بمثابة تكرار لوحدات دلالية ومعنوية وتيماتية تشكل أهم تمفصلات النص، أي: إن التشاكل هو قطب دلالي متداخل ومتقابل»<sup>(٦)</sup>.

ويعرفه جريماس بأنه: «مجموعة من المقولات الدلالية التي تجعل القراءة الموحدة والمتشاكله للمحكي ممكنة، كما تنتج عن القراءات الجزئية للأقوال وعن حل إبهامها،

(١) سورة ص: ٥٨/٣٨.

(٢) كتاب العين: ٢٩٥/٥.

(٣) سورة الإسراء: ٨٤/١٦.

(٤) لسان العرب: ٣٥٧/١١.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٠٩/١.

(٦) الاتجاهات السيميوطيقية التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية: ١٠٣.

والتي تكون موجهة بغرض البحث عن القراءة الموحدة»<sup>(١)</sup>.

يتضح مما سبق أنّ التشاكل آلية دلالية أساسية في بناء انسجام النص، تقوم على تكرار السمات والمعاني المحورية بما يوجّه القراءة نحو فهم موحد ويحدّد من التشتت الدلالي، وبهذا يكون (التشاكل) مختصاً بالجانب المعنوي والانسجام الحاصل بين البنية المكررة، في تنظيم المعنى وإزالة الإبهام، وإن اختلفوا في النظر إليه بين كونه بنية داخلية للنص أو نتيجة لعملية قرائية تأويلية، ف (جريماس) يوسع المفهوم ليجعله نتيجةً لعملية قرائية تأويلية تهدف إلى توحيد الدلالة عبر حلّ الإبهامات المتعددة.

ومن هنا، فالتشاكل يعبر عن مفهوم التعادل أو التوازي، داخل الخطاب؛ فوفقاً لمنظور (هنريش بليث)، «يقوم التشاكل على استثمار آليات اللسان (كالتعويض، والتبديل، والزيادة، والنقص) لخلق حالة من التوازن الدلالي، وتعمل هذه القواعد اللسانية على مستويات متعددة تشمل: الصوتية، والمورفولوجية (الصرفية)، والتركيبية، والدلالية، والنصية؛ مما يضمن اتساق الخطاب وانتظامه رغم ما قد يطرأ على بنيته من تغيرات أسلوبية»<sup>(٢)</sup>.

لم يكن مفهوم انتظام الدلالة وتآزر عناصر الخطاب غريباً عن التراث التفسيري، وإن لم يُصغ بالمصطلحات السيميائية الحديثة؛ فقد أدرك المفسرون منذ وقت مبكر أن النص القرآني يقوم على شبكات من التكرار المعنوي واللفظي، وأن تعدد الأساليب لا ينقض وحدة المقصد، بل يرسّخها. ويتجلى ذلك في معالجاتهم لقضايا مثل: تكرار القصص، وتنوع صيغ التعبير عن المعنى الواحد، وعلاقة المحكم بالمشابه، والالتفات، والمناسبة بين الآيات والسور.

ويُعرف مصطلح (التشاكل) عند علماء التفسير وعلوم القرآن بمصطلح (المتشابه) يقول الزركشي: «وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب يعلمهم عجزهم»<sup>(٣)</sup>، ويعرفه السيوطي في علوم القرآن بأنه: «والقصد به إيراد القصة الواحدة

(١) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص: ٢٠.

(٢) البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص: ٦٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢.

في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا<sup>(١)</sup> وسمى هذا (اقتدار) «وهو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة وتارة في صورة الإرداف، وحيناً في مخرج الإيجاز، ومرة في قالب الحقيقة، قال ابن أبي الإصبع: وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن، فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لا تكاد تشبه في موضعين منه، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرا<sup>(٢)</sup>».

وهذا ما أكده الخطيب الإسكافي في درة التنزيل: «إن تكرار المعاني مع اختلاف يسير في ألفاظها إنما هو للتأكيد وبيان فائدة جديدة يقتضيها الحال»<sup>(٣)</sup> وهنا تتجلى وحدة المعنى مع تنوع الصياغة بما يخدم المقاصد البلاغية والبيانية للقرآن الكريم.

والتشاكل من الوجهة السيميائية هو: «مجموعة من السيمات المتكررة التي يؤدي وجودها إلى تثبيت الدلالة في انسياب النص»<sup>(٤)</sup>، وهو ما يتحقق عبر تساوي عنصرين لغويين داخل وحدة كلامية في جميع الخصائص، فيكون التشاكل كلياً، أو وفي بعض الخصائص، فيكون التشاكل جزئياً.

ومن هنا، «فالتشاكل نوعان: تشاكل دلالي، وتشاكل سيميائي، فالتشاكل السيميائي هو الذي يقوم على تواتر السيمات الدلالية أو المقولات الدلالية، مثل: صورة «الفرح» السيمات النووية: (إحساس، شعور، الرضا، إيجابي، فعالية)، بينما يقوم التشاكل الدلالي على المقولات التصنيفية المادية الكونية أو التصنيفات الفكرية والذهنية الفلسفية الخارجية أو تواتر المقولات الكلاسيمايكية، مثل: (اقتصادي، إنساني، طبيعي، جنس)<sup>(٥)</sup>».

(١) الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٩٠.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٩٩.

(٣) درة التنزيل: ١ / ١٣٦.

(٤) معجم مصطلحات السميوطيقا: ١٦٩.

(٥) السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق: ٢٢٥.

## ١-٢-٢- التباين:

التباين لغة: جاء في مقاييس اللغة: «بون: الباءُ وَالْوَاوُ وَالْتُونُ أَضْلُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْبُعْدُ. قَالَ الْخَلِيلُ: يُقَالُ بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ، وَبَيْنٌ بَعِيدٌ أَيْضًا، أَيْ فَرْقٌ»<sup>(١)</sup>، وجاء في لسان العرب: «والمباينة المفارقة، وبان الشيء خالفه وغييره، والبين في كلام العرب جاء على وجهين: يَكُونُ الْبَيْنُ الْفُرْقَةُ، وَيَكُونُ الْوَضْلَ، بَانَ يَبِينُ بَيْنًا وَبَيْنُونَةً، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ»؛ قرئ بَيْنَكُمْ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، فَالرَّفْعُ عَلَى الْفِعْلِ أَيْ تَقَطَّعَ وَضَلَّكُمْ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْحَذْفِ، يَرِيدُ مَا بَيْنَكُمْ، قرأ نافعٌ وحفصٌ عن عاصمٍ وَالْكَسَائِيَّ بَيْنَكُمْ نَضْبًا، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامرٍ وَحَمْزَةً بَيْنَكُمْ رَفْعًا، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ أَيْ وَضَلَّكُمْ، وَمَنْ قرأ بَيْنَكُمْ مَعْنَاهُ تَقَطَّعَ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٢)</sup> «وفي المعجم الوسيط: «تباين الأمران أي تغايرا واختلفا، يقال: اتفقتا الكلمتان في اللفظ وتباينت في المعنى، وتباين الرجلان افترقا وتقاطعا، وتباين في الرأي اختلغا فكل واحد له رأي مخالف»<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال ما سبق من تعريفات نجد أن مادة (بون) المعجمية تدو أصلها حول المفارقة والبعد والفصل، مع دلالتها على التمييز بين الشيئين، ويُستعمل لفظ البين في العربية على وجهين متقابلين؛ فيأتي بمعنى الفرقة والانفصال، ويأتي كذلك بمعنى الوصل، فهو من الأضداد، ويُفهم المراد منه بحسب السياق.

التباين اصطلاحًا: يعرفه الجرجاني بقوله: «ما إذا نسب أحد الشيئين إلى الآخر لم يصدق أحدهما على شيء مما صدق عليه الآخر، فإن لم يتصادقا على شيء أصلاً، فبينهما التباين الكلي، كالإنسان والفرس، ومرجعهما إلى سالتين كليتين، وإن صدقا في الجملة، فبينهما التباين الجزئي، كالحيوان والأبيض، وبينهما العموم من وجه، ومرجعهما إلى سالتين جزئيتين»<sup>(٤)</sup>.

وخلاصة هذا التعريف أن التباين النسبة الموجودة بين شيئين يتميز أحدهما بوجود

(١) مقاييس اللغة: ١/ ٣٢٢.

(٢) لسان العرب: ١٣/ ٦٢.

(٣) المعجم الوسيط: ١/ ١١٧.

(٤) التعريفات: ٥١.

شيء ليس موجوداً في الآخر، كما أن التشاكل والتباين يزيدان من جمالية النص، فالضد يظهر حسنه الضد.

وارتبط مصطلح التباين في المقاربة السيميائية بمفهوم التشاكل، غير أنه لم يحظ بالاهتمام نفسه الذي ناله التشاكل، وربما يرجع ذلك إلى أن التشاكل يتضمن في بنيته معنى التباين، مما جعلهما يشتركان في الإطار المفهومي ذاته، ويعود أصل مصطلح التباين (Heterotopie) إلى اللغة الإغريقية، إذ يتكون من (Heteros) بمعنى (الآخر) أو (المغاير)، و (Topos) بمعنى المكان؛ ليدل على المكان المختلف في مقابل المكان المتماثل، ويقوم التباين، في جوهره، على وجود عنصر مشترك يربط بين اللفظين، يقابله عنصر آخر يحقق بينهما الاختلاف والافتراق<sup>(١)</sup>.

ويتبين من هذا التعريف أن التباين يُمثل شبكةً من العلاقات الدلالية القائمة على الاشتراك والاختلاف في آنٍ واحد، مما يجعله المحور البنيوي الذي يتأسس عليه المربع السيميائي، ومن هذا المنطلق، تتجلى عبره علاقات التضاد والنفي والإثبات، التي تسمح بتتبع حركية المعنى في مستوياتها العميقة، وتكشف عن المنطق الداخلي الذي يحكم نظام الدلالة وانتظامها.

وانطلاقاً من هذه الحركية التي يولدها التباين، تتجه المقاربة السيميائية نحو صياغة نموذج منطقي يضبط تلك التقابلات، وهو ما يتجسد إجرائياً في المربع السيميائي؛ بوصفه الأداة الكفيلة بتحويل التعارضات الدلالية المبعثرة إلى بناء شبكة من العلاقات الدلالية والمنطقية التي تضبط آليات التشاكل والتباين، وتكشف عن صيرورة المعنى داخل النص.

وهذا البناء العلائقي هو ما يمنح البنية العميقة تجذرها المنطقي، حيث يتوزع التحليل فيها بين رصد التشاكل الدلالي وبين استثمار النموذج المنطقي التأسيسي، فالمربع السيميائي «ينبني البنية العميقة من جهة على دراسة السيمات النووية السيميولوجية، ودراسة السيمات السياقية الدلالية، والتركيز على التشاكل الدلالي والسيميائي، ومن جهة أخرى، تدرس البنية العميقة ما يسمى بالمربع السيميائي أو النموذج الدلالي والمنطقي التأسيسي، ويسمى كذلك بمربع الصدق الذي يستلزم مجموعة من العلاقات التقييمية كالصدق والكذب والوهم والسر. بالإضافة إلى

(١) التحليل السيميائي للخطاب الشعري: ٢٣.

التحكم في ثنائية الكينونة والظهور. ويعني هذا أن المربع السيميائي هو الذي يحدد علاقات النص الصادقة والكاذبة والواهمة والسرية<sup>(١)</sup>

وبذلك يغدو المربع السيميائي الامتداد الإجرائي لمفهوم التباين، إذ يسمح بتمثيل العلاقات الدلالية المتقابلة داخل النص، وضبط مستويات الصدق والظهور فيه، بما يتيح قراءة أعمق للبنية الدلالية الكامنة، ويكشف عن انتظام المعنى خلف تنوع مظاهره السطحية.

وتعد نظرية المربع السيميائي (Semiotic Square) لـ (جيرداس جريماس) حجر الزاوية في تحليل البنى العميقة للخطاب؛ إذ تتجاوز القراءة السطحية لتغوص في العلاقات المنطقية التراتبية التي تُشيد المعنى، «ويتولى المربع السيميائي مسؤولية ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في عمق النص، واكتشاف البنية العميقة المتحكمة في تمظهراته السطحية»<sup>(٢)</sup>

ويقوم المربع السيميائي على «استكشاف البنيات الدلالية البسيطة المولدة لمختلف التمظهرات السطحية للنص، كما يتضمن المربع السيميائي علاقات التضاد وشبه التضاد، وعلاقات التناقض، وعلاقات التضمن والاستلزام اتصالا وانفصالا، ويشكل المربع السيميائي كذلك جملة من الأزواج الدلالية البسيطة التي تشكل العالم الدلالي الإنساني، ومن هنا، فالمربع السيميائي ليس إلا البنية الأصولية للدلالة حين تستعمل كشكل لتنظيم الجوهر الدلالي»<sup>(٣)</sup>.

وتعتمد البنية العميقة للنص على نظام من الثنائيات المتضادة بين الوحدات الدلالية الصغرى، أو ما تسمى بالسلمات، التي تعرف بأنها أصغر وحدة دلالية<sup>(٤)</sup> حيث لا يكتسب العنصر قيمته التحليلية إلا من خلال دخوله في شبكة من الاختلافات والتمايزات وتتنظم هذه العناصر ضمن ما يُسمى بالمقولة الدلالية (Semantic Category)، وهي القاسم المشترك الذي يجمع بين طرفين متقابلين (مثل: الحياة والموت يجمعهما محور الوجود).

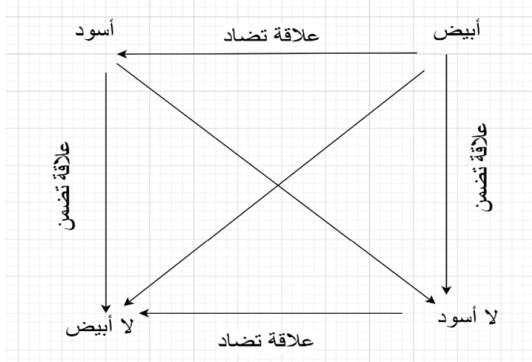
(١) السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق: ١٩٩.

(٢) معجم السيميائيات: ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٢١.

(٤) المصطلح السردى: ٢٠٦.

ولأن الخطاب السردى يخضع لمبدأ (الخطية) وتتولى الملفوظات زمنياً، فإنه لا يتجلى كلوحة ساكنة، بل يستوجب تحريك المربع السيميائي لبعث الحياة في دلالاته، ويتم هذا التحريك من خلال توليد أربع زوايا منطقية تنبثق من المحور الدلالي (س) تتفرع عنه العناصر الدلالية الآتية: (س١ - س٢ - لا س١ - لا س٢) وقد قدم (جريماس) شكلاً لتوضيح هذه العلاقات عبر رسمى هندسى كالآتي<sup>(١)</sup>:



لا يتوقف المربع السيميائي عند كونه رسماً هندسياً لتوزيع الوحدات الدلالية، بل هو «النموذج التأسيسي» الذي تُشتق منه القيم داخل النص. وانطلاقاً من أطروحات جريماس (A.J. Greimas)، ينهض المربع على شبكة من العلاقات المنطقية التي تتجاوز الثنائيات الضدية البسيطة إلى فضاء «الجهات الدلالية». ويمكن صياغة هذه العلاقات استناداً إلى المنطق العلائقي الآتي:

علاقة التضاد (Contrariety): وتمثل المحور الأفقي العلوي بين القطبين الموجب والسالب (س١ - س٢) وهي علاقة إثبات لقيمتين متقابلتين وجودياً، لكنهما تشتركان في محور دلالي واحد (كالحياة والموت في سياق الوجود).

علاقة التناقض (Contradiction): وهي العلاقة القطرية التي تربط بين طرف وإعدام (لا س١ - س١) هنا ينتقل المعنى من حيز الإثبات إلى حيز النفي، حيث يؤدي ظهور أحد الطرفين إلى غياب الآخر حتماً، وهي المحرك الأساسي للتحويلات السردية.

علاقة التضمن أو الاستلزام (Implication): وتمثل المحور العمودي الذي

(١) سيميائية الأمثال في الخطاب القرآني: ٨٢.

يربط بين الطرف المنفي والطرف المقابل المثبت في (س ١ - لاس ٢)، وتكمن أهمية هذه العلاقة في كونها تشرعن» الانتقال من حالة إلى حالة، فهي تظهر كيف يستلزم (عدم الموت) بالضرورة (الحياة) داخل النسق الدلالي للنص.

إنّ القيمة التحليلية لهذا المربع في قدرته على كشف المسار التوليدي للمعنى، فبواسطته نقرأ النص بوصفه حركية دلالية تنتقل فيها الشخصيات أو القيم بين هذه الأقطاب، وهذا ما يجعل المربع السيميائي أداة ضرورية لاستجلاء بنية الصدق في الخطاب، حيث تتحرك الدلالة بين الظهور والكينونة، وبين الصدق والوهم.

وتقتضي القراءة السيميائية لقصة آدم عليه السلام رصد تمفصلاتها السردية الموزعة عبر السور السبع (البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص)؛ وذلك لاستنطاق وحداتها الدلالية في بنية مقارنة، ويأتي الجدول الآتي كخطوة إجرائية لتقديم حصر استقصائي لهذه المواضع، يهدف إلى تتبع التشاكل في الوحدات اللغوية المشتركة، ورصد التباين في السياقات الخاصة لكل سورة؛ مما يمهد لعقلنة المعنى وإعادة بناء البنية العميقة للقصة من خلال المربع السيميائي:

## ٢- نصوص القصة في القرآن الكريم:

البقرة: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

وَمَتَاعٍ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ  
هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨).

الأعراف: وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ  
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا  
يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ  
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ  
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَبْتَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ  
أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا  
مَذْهُومًا مُّذْحُورًا لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا  
آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ  
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ  
عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا  
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ  
(٢١) فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِمُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ  
عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ  
لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ  
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤)

الحجر: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَنَّةَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ  
مِنْ نَّارِ السُّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ  
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)  
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ  
(٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ  
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

(٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ  
(٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ  
بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
الْمُخْلِصِينَ (٤٠)

الإسراء: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ  
طِينًا (٦١)

الكهف: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ  
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠).

طه: وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ  
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا  
تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ  
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا  
سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)  
ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ  
عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣).

ص: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ  
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ  
اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ  
بِيَدِي أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ  
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠).

وبناءً على حصر المادة النصية السابقة، يقتضي التحليل السيميائي الانتقال إلى  
مرحلة التفكيك والنمذجة؛ لعزل العناصر السردية وتصنيفها بين تشاكل كلي (شامل)

يمثل النواة الدلالية الثابتة للقصة في جميع السور، وتشاكل جزئي (خاص) يرصد الانزياحات السياقية والمعاني التي تفردت بها بعض المواضع، ويأتي الجدول الآتي كإجراء تنظيمي لاستجلاء هذه الوحدات الدلالية، وضبط حركية المعنى بين الثوابت والمتغيرات، تمهيداً لبناء المربع السيميائي وكشف البنية العميقة للخطاب:

عناصر القصة كاملة	المعاني المتشاكلة في جميع السور.	المعاني المتشاكلة في سورة دون أخرى:
<ul style="list-style-type: none"> <li>- إخبار الله عز وجل الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة.</li> <li>- تعجب الملائكة من هذا الجعل،</li> <li>- رد الله عز وجل على الملائكة.</li> <li>- تعليم الله آدم عز وجل الأسماء كلها.</li> <li>- اختبار الله عز وجل الملائكة المؤدي إلى العجز.</li> <li>- أمر الله آدم عليه السلام أن يخبر الملائكة بالأسماء.</li> <li>- أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود.</li> <li>- مخالفة إبليس أمر ربه.</li> <li>- أمر الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجته سكنى الجنة.</li> <li>- تحريم الله عز وجل عليهما قربان الشجرة.</li> <li>- إغواء الشيطان لهما، وأكلهما من الشجرة.</li> <li>- أمرهم الله عز وجل بالهبوط من الجنة إلى الأرض.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود.</li> <li>- امتثال الملائكة</li> <li>- لأمر الله عز وجل.</li> <li>- مخالفة إبليس لأمر ربه.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>سؤال الله عز وجل إبليس عن عدم امتثاله لأمره، وحججه التي استند عليها.</li> </ul>

ومن خلال هذا التشاكل والتباين الذي حصرناه في العناصر السابقة، يضع النص

القارئ أمام عدة أسئلة: كيف يمكن لمشهد واحد أن يُنتج مصائر متباينة؟ ولماذا تتكرر قصة آدم في القرآن بصيغ متعددة، دون أن تفقد توترها الدلالي؟ أو بمعنى آخر، ما الذي يجعل القصة الواحدة تنتج معاني متباينة رغم المحكي عنه واحداً؟

وجوابه أولاً: «أن الاختلاف راجع في الأغلب إلى اختلاف الأحوال، فكل عبارة جاءت على نسق معين ليناسب مقام الحديث، فلكل مقام مقال، ويحدث التحدي المنوط به للكافرين، حيث يكون الأصل واحداً، وبتكراره ينتج معانٍ أخرى تزيده حلاوة وطلاوة»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: «المقصود من حكاية القصص في القرآن إنما هو المعاني فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه، ولم يكن هناك مناقضة فإن القصة كانت حين وقوعها بأوفى المعاني الواردة ثم إن الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكّر القصة فيها بما يناسب ذلك المقام في الألفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام»<sup>(٢)</sup>.

### ٣. تشاكل الأصل.. مشهد الخلق وإعلان الخلافة:

ومشهد خلق سيدنا آدم عليه السلام يمثل النواة السيميائية الأولى التي سيتشكّل حولها مسار القصة كاملة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِیْفَةً قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾<sup>(٣)</sup>، وتتجلى في هذه اللحظة بنية التشاكل (Isotopy) من خلال المستويات الآتية:

#### ٣-١- توحيد القصد الإلهي (المحور الدلالي):

يمثل «الجعل» هنا المحور الدلالي المركزي الذي يحقق التشاكل؛ فهو فعل إلهي

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٣٤٠.

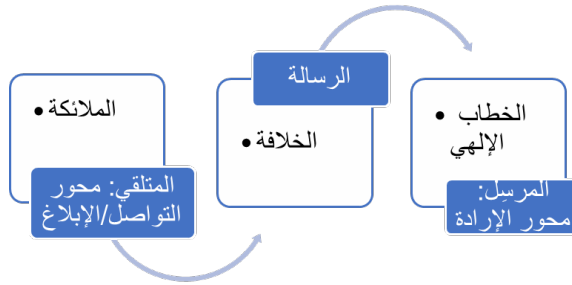
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١ / ٢٨٤.

(٣) سورة البقرة: ٣٠/٢.

ميرم ينطلق من إرادة عليا، مما يجعل الخطاب في أصله حالة من الاستقرار الدلالي التي لا تقبل التعدد في القصد.

تُفتح الآية الكريمة بمشهدٍ فريدٍ في بنيته ودلالته، إذ يُعلن فيه الله عز وجل عن خلق أول خليفة في الأرض، وما يحمله هذا الإعلان من تحوّل مفصلي في مسار الوجود الإنساني، ويكشف السياق عن بداية مرحلة جديدة في تاريخ الأرض، تُناط فيها بالإنسان مسؤولية الاستخلاف وتسليم مفاتيح الأرض، والخطاب القرآني في هذه الآية يقدم لنا المشهد من خلال حوار علوي بين الله تعالى وملائكته، ليضفي على المشهد بُعدًا دلاليًا يتجاوز مجرد الإخبار إلى تأسيس الخلافة.

إنّ افتتاح المشهد الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ خبر تقريرى وقرارًا بإعلان افتتاحي لخلافة سيدنا آدم عليه السلام وهذا الإعلان يُستدعى فيه القارئ إلى لحظةٍ لم يشهدها، لكنها تُروى له بأسلوب يجعلها كأنها حاضرة أمامه، ف«إذ» هنا ظرف زمني للماضي؛ يستدعي زمن البداية، فهي بمثابة بوابة سردية تعيد القارئ إلى اللحظة التأسيسية الأولى لتجربة الإنسان في الأرض.



يؤسس مشهد إعلان الخلافة لحظة انسجام دلالي كامل، يشترك فيها الخطاب الإلهي وتلقي الملائكة ضمن أفق واحد دون أي اختلاف، لكن يظهر الاختلاف لاحقًا نتيجة تحوّل التلقي إلى تأويل، وفعل القول في مقام الربوبية ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ بمثابة بلاغًا إلهيًا موجّهًا إلى الملائكة، يُعلمهم بما تقرره المشيئة العليا، ويجعلهم شهودًا على لحظة الاستخلاف، ومدبرين لما يُناط بهم من أمر الله في خلقه، لقوله تعالى: (لَهُ

مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ<sup>(١)</sup> وكأن الخطاب يهَيِّئهم لاستقبال حدثٍ غير مسبوق، حدثٌ سيئسئ مخلوقاً له شأن آخر غير شأنهم، فالجملة القرآنية تحمل في طياتها نبرة التكليف الاستباقي، والله عز وجل يخبرهم بأن الأرض على وشك أن يُعاد تشكيلها، وأن مخلوقاً جديداً سيدخل مسرح الوجود، وستتعلق به سننٌ جديدة من التعليم والرعاية والتسخير، وكأن الآية تهمس في أذن الإنسان «أصغ جيداً... فهنا يبدأ سرّك».

والمتمأمل في قوله تعالى: «وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ» دون التعبير بقوله: «وَإِذَا قَالَ اللهُ» كما في حديث عيسى عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ)<sup>(٢)</sup> يدرك أن الخطاب القرآني ينتقي اللفظ الذي يليق بالسياق؛ فالرب هو المرَبِّي والمكُون والمتمم للنقص، وهو الاسم الذي يلائم مرحلة الإنشاء الأولى لسيدنا آدم عليه السلام مرحلة التكوين، والتعليم، والنفخ، وتحمل الأمانة، فاختيار هذا الاسم يضيف على المشهد ظلالاً من الحنان الإلهي والعناية التأسيسية، وكأن الخليفة الجديد سيخرج من حضن الربوبية إلى ساحة الأرض، محاطاً بالرعاية منذ الكلمة الأولى.

وحين ننتقل إلى مشهد سؤال سيدنا عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾، يظهر لنا أن اختيار اسم الجلالة «الله» ليس اختياراً اعتباطياً، إنما هو اللفظ الذي ينهض بثقل الموقف كله، فالسياق هنا ليس سياق تربية أو إنشاءٍ أو عناية تكوينية كما في قصة آدم عليه السلام وإنما هو سياق كشفٍ للعقيدة، ومحاكمةٍ للقول.

فاسم الجلالة «الله» هو الاسم الجامع للألوهية، الذي تستدعيه المقامات الكونية الكبرى؛ لأنه يحضر حين تُناقش الحدود الفاصلة بين الخالق والمخلوق، وبين الإله الحق وما نُسب إليه ظلمًا وبهتانًا، وفي هذا السياق يتحدث الله تعالى بصفته الإله الواحد الذي تُقاس إليه الدعوى، وتُرد إليه الحقيقة، وتُكشف عنده براءة المرسل من افتراء المرسل إليه.

والتهيئة والتكوين، وفي سؤال عيسى عليه السلام جاء السياق بلفظ «الله» بما

(١) سورة الرعد: ١١/١٣.

(٢) سورة المائدة: ١١٦/٥.

يناسب مقام الفصل، وإظهار الحق، وتجريد توحيده من كل شبهة.

وجملة: «وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» بنيتها التركيبية وردت في موضعين في القرآن الكريم، أحدهما: في سورة البقرة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>(١)</sup>) والأخرى: في سورة الحجر: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ<sup>(٢)</sup>) لكن حضورها في كل موضع يحمل نبرة سردية مختلفة، ويهيئ لتأمل جمالي من نوع آخر، وكأنّ النصّ يعيد عرض المشهد ذاته من زاويتين، ليكشف للقارئ عن طبقتين من أسرار الخلق.

ففي سورة البقرة يرد قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليعلن غاية الإنسان قبل جسده؛ إذ يقدّم الاستخلاف باعتباره قدرًا سابقًا على التكوين المادي، أما في سورة الحجر، فيأتي الخطاب: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ليركّز على مرحلة التصوير المادي؛ فيتجلّى الإنسان أولاً بوصفه بشرًا من طين قبل ظهوره خليفة ذا رسالة، وهكذا تُقدّم الآيتان مشهد الخلق في صورتين متكاملتين، صورة تكشف رسالة الإنسان، وصورة تكشف مادته.

وفي قلب هذا الاستدعاء المهيب يتجلّى الخطاب الإلهي: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بصياغة تُعلن أمرًا مقضيًا، يتقدّم فيه التوكيد بـ «إني» ليغلق أفق التردد، ويثبت المعنى في مقام الجزم الإلهي الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، ويأتي التعبير باسم الفاعل «جاعل» ليمنح الفعل امتدادًا دلاليًا يتجاوز لحظة الإنشاء، لتصبح الخلافة سنةً جارية في نظام الخلق، وليست واقعة عابرة محصورة في زمن بعينه، وهنا تتصافر صيغة اسم الفاعل مع قوة التوكيد لتزيد من حتمية القرار الإلهي، حيث لا مجال لاعتراض، فالكلمة من قِبَلِ مَنْ إذا قال كن فيكون.

### ٣-٢- التشاكل البصري والرسم القرآني:

يتدخل رسم كلمة (جاعل) بإثبات الألف ليعزز هذا التشاكل؛ فالألف الممدودة سيمياً تعكس امتداد زمن الخلافة واستمراريتها كبنية وجودية ثابتة ومستقرة في القصد الإلهي، مما يثبت الدلالة في انسياب النصّ ويمنع تشتتها أمام تساؤلات المتلقي.

(١) سورة البقرة: ٣٠/٢.

(٢) سورة الحجر: ٢٨/١٥.

وبالتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ نجد أن كلمة (جاعل) ذكرت في ستة مواضع في القرآن الكريم، خمسة منها بالألف القائمة، وذكرت في موضع واحد برسم الألف المحذوفة في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجُعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(١)</sup> لنرى أن الرسم القرآني يتجاوز وظيفة التدوين الصوتي ليصبح عنصراً سيميائياً فاعلاً في توجيه التأويل؛ فإثبات الألف في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يمنح الكلمة امتداداً بصرياً يوازي الامتداد الزمني لمشروع الخلافة، بوصفها فعل بناءٍ وتعمير مفتوح على صيرورة الزمن، هذا التشاكل بين اتساع الرسم واتساع المهمة يعكس طبيعة الاستخلاف كبنية استمرارية.

وعلى النقيض، يأتي حذف الألف في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجُعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ لإبراز التباين الدلالي؛ فالاختزال الخطي (الحذف) يرمز هنا لسرعة الإفناء وانقضاء الفعل، حيث يُغلق أفق المادة وتُطوى صفحة الوجود الأرضي بفعل قاطع لا امتداد فيه، وبذلك، تغدو «الألف» المثبتة علامةً على البقاء والتعمير، بينما يغدو حذفها علامةً على الفناء والاستئصال.

وعند الوقوف على لفظ ﴿خَلِيفَةً﴾ يكشف عن دلالة مدهشة؛ فالكلمة - في بنيتها الأصلية - لا تُشير إلى مجرد منصب أو وظيفة، لما يحمله من دلالة التعاقب، فهو إعلان منذ الوهلة الأولى بهشاشة الإنسان وفناؤه، لأن الخليفة لا يكون خليفة إلا إذا عَقَبَ غَيْرَهُ أو عَقَبَهُ غَيْرُهُ، و(الْخَلْفُ): «مَا اسْتَخْلَفْتَهُ مِنْ شَيْءٍ»، تقول: أعطاك الله خَلْفًا مِمَّا ذَهَبَ لَكَ، وَلَا يُقَالُ خَلْفًا؛ وَأَنْتَ خَلْفٌ سُوءٍ مِنْ أَبِيكَ، وَخَلْفَهُ يَخْلُفُهُ خَلْفًا: صَارَ مَكَانَهُ. وَالْخَلْفُ: الْوَلَدُ الصَّالِحُ يَبْقَى بَعْدَ الْإِنْسَانِ، وَالْخَلْفُ وَالْخَالِفَةُ: الطَّالِحُ»<sup>(٢)</sup>، ومما يؤكد ذلك مجيء الكلمة بالتنكير؛ لتدل على مشاركة ذرية آدم عليه السلام من بعده في هذا الاستخلاف.

وكأن الآية الكريمة تُسجّل للإنسان نعيًا مبكرًا قبل أن تكتمل صورته، ويثبت في سجل الخلق حقيقة أنّ هذا الكائن لن يمكث طويلًا، وأن حركته في الأرض مدة محدودة، وهنا يبرز السر؛ فالإنسان في اللحظة التي تُعلن فيها وظيفته يُعلن كذلك حدّه الزمني، فكلمة خليفة لا تمنحه الحياة الدائمة، بل تُنشئ حوله هالة من الغياب

(١) سورة الكهف: ١٨/٨.

(٢) لسان العرب: ٨٤/٩.

المنتظر؛ فهو كائنٌ خُلِقَ لِيُخَلَّفَ، ويبقى ليزول، وفي هذا البُعد تتجلى دهشة وجمال الخطاب القرآني.

ومن هذا الأفق الدلالي يتولد المشهد الحواري، حيث تتلقى الملائكة هذا الإعلان الإلهي بسؤالٍ يكشف عن توقٍ إلى فهم الحكمة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾ حين نقترّب من هذا المشهد القرآني البديع، نجد أنفسنا أمام لحظة كونية تتجلى فيها حساسية الملائكة ورهافة إدراكهم، لا على جهة الاعتراض، بل على جهة استجلاء الحكمة، فالملائكة لا تستفهم ربها استفهامَ جهل، ولا تخاطبه خطابَ منازعة، بل يجيء سؤالهم على نسقٍ يشقّ عن أدبٍ رفيع في طلب الكشف، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولكن معناها معنى الإيجاب: أي أنك ستفعل<sup>(١)</sup>.

### ٣-٣- ثنائية الوصف: عامٌّ، وخاصٌّ:

جاء جواب الملائكة بوصفين محكمين: (من يفسد فيها): وصفٌ عامٌّ، يشمل كل أنواع الفساد المتصورة، و(ويسفك الدماء): وصفٌ خاص، يُمثّل ذروة الفساد، وأشدّ صورته وقعا في عالم المخلوقات.

وهذا الانتقال من العام إلى الخاص بصيغة الجمع (الدماء) يفتح باباً من التأمل الدلالي، فالجمع يوحي بالسريان والامتداد، ويجعل الفعل (يسفك) أشبه بظّلٍ يتكرر كلما تحرك الإنسان في الأرض، فهي صيغة تضيء على الذهن إحساساً بأن (سفك الدماء) ليس حادثة واحدة، بل ظاهرة متجددة، تكاد تلاصق وجود هذا الكائن الجديد، فأينما وجد كان السفك.

ويتجلى في هذا السياق معنى التكريم الذي أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى لِهَذَا الْمَخْلُوقِ الْجَدِيدِ؛ «فتساؤل الملائكة لم يكن اعتراضاً ولا استنكاراً، وإنما كان صادراً عن علمٍ سابق، أو عن إدراكٍ استنباطي تشكّل لديهم من شواهد الحال، أو من إلهامٍ فطري يكشف لهم بعض مقتضيات طبيعة الحياة في الأرض، فقد أدركوا، بحكم ما أوتوا من صفاء البصيرة، أن هذا المخلوق قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء، وهو إدراك نابع من

(١) مجاز القرآن: ١ / ٣٥.

فهمهم لمتطلبات الاستخلاف، لا من سوء ظنّ بالإنسان»<sup>(١)</sup>

### ٣-٤ - قصور العلم عند المتلقي الأولي:

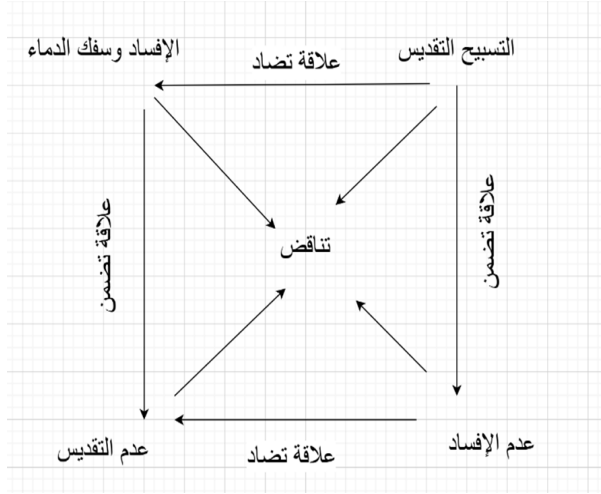
يبرز هنا «التشاكل الجزئي»؛ فبينما يملك الخالق العلم الكلي، يملك الملائكة علماً مبنياً على قياس سابق، مما أوجد فجوة دلالية حاول النص ردمها بعبارة الحسم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾، لإعادة المتلقي إلى أفق التشاكل والقبول بالقصد الإلهي من استخلاف الإنسان.

وبهذه الجملة الموجزة جاء الرد من الله عز وجل لتُغلق الدائرة، وتكشف الخطاب عن حدِّ فاصل بين الرؤية الملائكية المحدودة والعلم الإلهي المطلق، فوصف الملائكة للخليفة لم يكن إلا نظراً إلى ظاهر الحال وما أُطلعوا عليه من جزئيات المشهد، فهو تقديرٌ ملائكيّ محدود الدائرة أمام علمٍ إلهي لا تُحاط آفاقه، (مخلوقٌ جديد قد يفسد ويسفك الدماء، فكيف يكون خليفة؟) غير أن هذا القياس مهما بدا مستقيماً في ظاهره، يظل منقوص الأدوات، لأنه يقف عند تخوم المشهد، ولا ينفذ إلى عمقه.

### ٣-٥ - تشاكل العلم المطلق:

ويظهر التشاكل من خلال «علم الغيب» الإلهي المحيط بمصلحة خلق آدم، فقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يمثل «بؤرة التشاكل» التي تحسم أي تباين محتمل؛ فحكمة المشيئة الإلهية في عمارة الأرض وبنائها ظلت غائبة عن إدراكهم في تلك اللحظة، فجاءهم الجواب من العليم الخبير، كاشفاً عن بُعدٍ آخر من أسرار هذا الكائن الحي، يتمثل في تمكينه من سرّ المعرفة والقدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، وحين علّم الله آدم هذا السر، وعُرضت الأسماء على الملائكة، تبين لهم عجزهم عن الإحاطة بهذا اللون من العلم، فأقروا به خضوعاً وتسييحاً، معترفين بأن ما أوتوه من معرفة لا يتجاوز ما علّمهم الله.

(١) معاني القرآن: ٣٦/١.



### وحدات المربع السيميائي:

س ١ : (التسبيح، التقديس): ويمثله قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ دلاليًا: حالة تشاكل كامل مع الإرادة الإلهية، سيميائيًا: نمط وجود ثابت، لا يعرف الصراع ولا الانفصال.

س ٢ : (الإفساد، سفك الدماء): ويمثله قولهم: ﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكِ الدِّمَاءَ﴾، فالإفساد جاء لوصف احتمالي لطبيعة الفعل في الأرض، والانتقال من العام (الإفساد) إلى الخاص (سفك الدماء) يمثل القطب النقيض للتقديس.

لا س ١ : (عدم التقديس، الانشغال بالأرض): وهو الحد المناقض للتسبيح، دون أن يبلغ الإفساد الصريح، فإنه يشير إلى الانغماس في المادي، والانشغال بالعمران دون استحضار البعد القدسي.

لا س ٢ : (عدم الإفساد، قابلية الإصلاح): وهو الحد الذي نفى عنه الملائكة الحكم القطعي، فالإنسان قد يفسد لكنه ليس مفسدًا بالضرورة، وهذا الحد هو ما سُميلاً لاحقاً بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾.

#### ٤ - سيميائية الطاعة والعصيان (انكسار التشاكل في مشهد السجود):

يركز هذا المطلب على تحليل المفارقة السيميائية بين «الاستجابة الملائكية» و«الاستثناء الإِبليسي» عبر تعدد السياقات القرآنية، للكشف عن بنية التباين في أقصى تجلياتها، والآن ننتقل من مشهد القول في (إعلان الخلافة) إلى مشهد الفعل (الأمر بالسجود) وهنا ينكسر التشاكل تماماً، ويتحول التباين من «استفهام استيضاحي» (عند الملائكة) إلى «تباين تعارضي» (عند إبليس)، وهي كالاتي:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(١)</sup> البقرة.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ<sup>(٢)</sup> الأعراف.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ<sup>(٣)</sup> سورة الحجر.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا<sup>(٤)</sup> سورة الكهف.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا<sup>(٥)</sup> سورة الإسراء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ<sup>(٦)</sup> سورة طه.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

(١) سورة البقرة: ٣١/٢.

(٢) سورة الأعراف: ١١/٧.

(٣) سورة الحجر: ٣١/١٥.

(٤) سورة الكهف: ٥٠/١٨.

(٥) سورة الإسراء: ٦١/١٧.

(٦) سورة طه: ١١٦/٢٠.

أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(١)</sup>. سورة ص.

#### ٤-١- تشاكل الطاعة المطلقة عند الملائكة:

تشتمل الآيات على وحدة سيميائية ذات وجهين قائمة على التقابل بين الطاعة والعصيان، وقد ذكرته الآيات صراحة، فالطاعة في قوله تعالى: (فَسَجِدُوا)، والعصيان دلة عليه الآيات في قوله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ)، جملة قصيرة، لكنها تُبني مشهداً عظيماً، طاعةً جامعة، وتمردٌ فردٍ، جملة جاءت بصيغة الجمع، تشعرنا بأن جميع من حضر المشهد أسرع في الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود، ويأتي الفعل (فَسَجِدُوا) مقروناً بالفاء التي تُحدث قفزة صوتية دلالية؛ تعكس سرعة الامتثال، في رسم النص صورة لطاعة جماعية صافية، طاعة لا تعرف التردد، يقول ابن عاشور: «وعطف فسجدوا بفاء التعقيب يشير إلى مبادرة الملائكة بالامتثال»<sup>(٢)</sup>.

وفي سورتي (الحجر، و ص) يرتقي التشاكل إلى درجة الشمولية الكلية في قوله: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) سيميائياً هذا التكرار يخلق الدلالة أمام أي احتمال لتباين الاستجابة في موقف الملائكة الذي جاء مؤكداً بلفظتي (كلهم أجمعون)، وبهذا يثبت دلالة الطاعة كبنية ثابتة في انسياب النص.

#### ٤-٢- تباين الرفض وتعدد السيمات (إبليس):

ثم تأتي أداة الاستثناء «إلا» لكسر التشاكل، ولكن النص القرآني يتنوع في سيمات الرفض، لتترك سؤالاً تأملياً في نفس القارئ: كيف صار هذا الفرد خارج النسق؟ ولماذا بدا الامتثال سهلاً على الجميع وصعباً على إبليس؟ وهل كان إبليس من جنس الملائكة؟ وهنا يكمن سحر البلاغة القرآنية؛ أنها تضع القارئ داخل المشهد، فتجعله شاهداً ومسؤولاً عن قراءة العبرة.

وتتجلى ملامح الجواب حين نتأمل حضور القصة في القرآن الكريم؛ إذ يتكرر مشهد الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لأدم عليه السلام، وكان هذا التكرار المقصود يعيد تشكيل السؤال في الذهن: ما سرُّ هذا التوزيع الحكيم؟ وما دلالة الإلحاح على

(١) سورة ص: ٣٨/٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٢٣/١.

استحضار المشهد في كل موضع من المواضع السبع؟ ويمكن تقسيم تنوع سيمات الرفض في السور كالآتي:

١ - تباين الرفض النفسي: في قوله تعالى: (أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ)، في سورتي (البقرة، ص) وهي سيمات دلالية صغرى تشير إلى بنية الكبر العميقة، فالفعالان يكشفان عن بنية نفسية عميقة سبقت الفعل الظاهري، فالإباء يشير إلى رفض داخلي صامت، لم يتبعه أي حجاج، ثم يتحول هذا الإباء إلى استكبار لتعلو ذروة الشعور بالأنا.

٢- تباين الرفض السلوكي: في قوله تعالى في سورة الأعراف: (إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) وفي سورة الحجر: (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ<sup>(١)</sup>)، وهنا يتحول التباين إلى انفصال عن الجماعة (الغيرية)، لكن في سورة الحجر جاء الرفض بالنفي والإباء، أما في الأعراف جاء الرفض بالنفي فقط.

#### ٣-٤ - تباين المرجعية:

في قوله تعالى في سورة الإسراء: (أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) وهنا التباين حجاجي، يعتمد على خلخلة المحور الدلالي للأمر عبر قياس فاسد، وهنا (إبليس) لا يواجه الأمر الإلهي بالرفض المباشر، بل يعيد توجيه مرجعيته الدلالية، بمقارنة مادية بين أصليين مختلفين، هذا التحول يجعل التباين ذا طابع حجاجي، يحول الأمر من مقام الطاعة إلى منطق المفاضلة، حتى لا يكون الرفض صراحة.

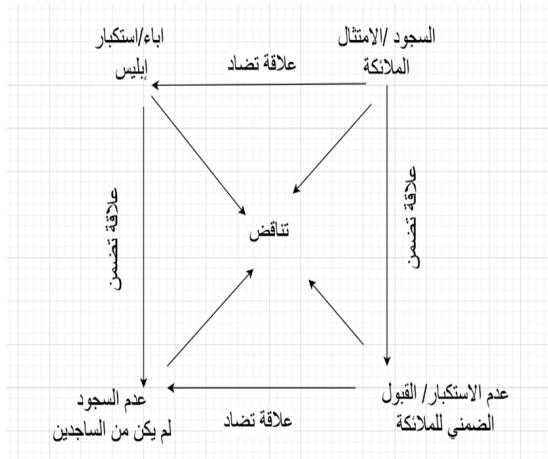
#### ٤-٤ - تباين الأصل الوجودي:

في قوله تعالى في سورة الكهف: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) حيث يُفسر التباين السلوكي بتباين النوع، مما يضع إبليس في «مربع سيميائي» مختلف تماماً عن الملائكة، فذكر تباين الأصل هنا الذي جاء به إبليس ليخرج نفسه من تشاكل الطاعة الملائكية، ويضع نفسه في مكان مختلف قابل للانفصال عن الجماعة، حيث يكون التباين سلوك قابل للتمرد والخروج عنهم.

(١) الحجر: ٣١/١٥.

وتأتي الإشارة القرآنية لتكشف جانباً من حقيقة الموقف؛ فإبليس ليس من جنس الملائكة، وهذا ما توحى به صيغة الاستغراق في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ في سورتي ص والحجر، فالجمع بين «كلهم» و«أجمعون» يفيد الإحاطة الكاملة التي لا تُبقي فرداً خارج دائرة الطاعة، مما يقتضي بطريق الدلالة أنّ المستثنى الوحيد لم يكن داخل هذا الإطار أصلاً، إذ لو كان منهم لشملته النداء كما شملهم الامتثال، يقول ابن عاشور: «واستثناء إبليس من ضمير الملائكة في (فسجدوا) استثناء منقطع، لأن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ولكن الله جعل أحواله كأحوال النفوس الملكية بتوفيق غلب على جبلته لتتأتى معاشرته بهم وسيره على سيرتهم، فساغ استثناء حاله من أحوالهم في مظنة أن يكون مماثلاً لمن هو فيهم»<sup>(١)</sup>.

بنية المربع السيميائي لمشهد السجود وفقاً لنموذج جريماس، يمكننا ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين هذه الوحدات الدلالية في بنية المربع السيميائي لمشهد السجود لاستجابة الأمر الإلهي كالاتي:



س ١: السجود/الامتثال: ويمثله الملائكة في قوله «فَسَجَدُوا»، وهو يمثل حالة التناقض الكلي مع الإرادة الإلهية.

س ٢: الإباء/الاستكبار: ويمثله إبليس في قوله «أَبَى وَأَسْتَكْبَرَ»، وهو يمثل علاقة

(١) التحرير والتنوير: ٤٢٣/١.

التضاد الصريح مع السجود.

لا س ١ : عدم السجود/ التخلي: وهو الحد المناقض للسجود، ويظهر في قوله «لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ»، حيث يُسلب من إبليس صفة السجود أولاً قبل إثبات صفة الاستكبار.

لا س ٢: عدم الاستكبار/ القبول الضمني: ويمثل الحد الذي لا يستكبر ولكن قد يتوقف للمساءلة، وهو ما يمكن إسقاطه على لحظة استفهام الملائكة في المطلب الأول؛ فهم لم يستكبروا (نفي س ٢) ولكنهم استوضحوا قبل الانتقال للتشاكل المطلق (س ١).

٥- سيميائية النهي والتحذير، وسر النداء والاختبار:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة. (الآية: ٣٥).

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (١٩) الأعراف.

توقفك هذه الآية الكريمة على نافذة واسعة منذ اللحظة التأسيسية الأولى لمسيرة الإنسان، حيث تظهر جمالية الخطاب الإلهي لآدم وزوجه، في مشهد يختلط فيه التكريم بالتكليف، والسعة بالتحذير، فبعد أن كرمه الله بالإجلال من تلقاء الملائكة، يأتي التكريم الثاني بالنداء بذكر اسمه عليه السلام للمرة الثانية.

وبالتأمل في هذه الآيات نلمح فيها تضافر ثلاثة أساليب: (النداء، ثم الأمر، ثم النهي المقرون بالتحذير)؛ وجاء التشاكل والتباين فيها كالاتي:

٥-١- تشاكل وحدة الخطاب الإلهي:

أولاً: النداء، يوقفك النداء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ على بعد عاطفي وتشريفي؛ فهو نداء الخالق لعبده، يُنشئ به علاقة مباشرة، ولعلّ النداء باسمه عليه السلام «يا آدم» وهو نداء يحمل في طياته سياق الرعاية قبل

التكلف، ويمنح آدم عليه السلام شرف التلقّي المباشر للخطاب الإلهي دون واسطة، إيداناً ببدء مرحلة جديدة في العلاقة بين الإنسان وربه، «ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملائ الأعلى، لأن نداءه يسترعي إسماع أهل الملائ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به»<sup>(١)</sup>.

### ٥-٢- تشاكل الإباحة والسكن (بينة الاستقرار):

وفي الآيتين يتكرر فعل الأمر (اسكن) بنفس الصيغة في الآيتين لتماثل حالة التشاكل مع المكان في الجنة، حيث يتطابق الوجود مع المستقر، ويتكرر فعل الإذن والإباحة في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ وفي سورة الأعراف: ﴿فَكُلًّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ولكن باختلاف حرف العطف، وحذف كلمة (رغداً) في الأعراف، وهذه الزيادة والحذف جاءت لتناسب سياق كل حكاية، يقول السيوطي: «وربما يكون التكرار في موضع بحرف وفي آخر بحرف آخر، كقوله تعالى: «يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا» وفي الأعراف «فكلا» بالفاء قيل: لأن السكنى في البقرة الإقامة وفي الأعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول إليه تعالى: «وقلنا يا آدم» ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ولذا قال فيه «رغداً» وقال: «حيث شئتما» لأنه أعم، وفي الأعراف «ويا آدم» فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها لأن الأكل بعد الاتخاذ و «من حيث» لا تعطي عموم معنى «حيث شئتما»<sup>(٢)</sup>. فكلمة ﴿رَغَدًا﴾ تحمل في ظاهرها فيوض من الإنعام واتساع الرخصة.

### ٥-٣- التباين التحذيري:

ثم تأتي ذروة الخطاب على هيئة نهى محذّر، ويمثل هذا النهي أول علامة تباين تدخل لسيدنا آدم، فبعد الإباحة المطلقة يظهر حدٌ يفصل بين الممنوع والمسموح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وعند الوقوف على هذا التحذير نجد أن صيغة النهي لم تأت عن (الأكل) مباشرة، بل عن (القرب): ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، وهذا الأسلوب يرسخ قاعدة بلاغية وأخلاقية مفادها: أن الضابط الأول للسلوك والطاعة يبدأ من سدّ الذرائع، وأن الخطأ غالباً يبدأ من خطوة اقتراب، لا من

(١) التحرير والتنوير: ٤٢٨/١.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٣/٣٩١.

فعل مباشر، كما أن اختيار الإشارة ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يُضفي على المشهد طابعًا تصويريًا مجسّدًا، كأن الشجرة واقفة، مرئية، قريبة، محددة، لا تلتبس بغيرها.

وعند التأمل في بنية الخطاب الإلهي لآدم عليه السلام نجد أن الأمر بالسكنى جاء بصيغة الإفراد: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ فالأمر يتوجّه أولاً إلى آدم عليه السلام بصفته أصل التكليف، ثم يُلحق به ذكر الزوج في موضع العطف؛ وكأن الصياغة تُثبّت مقام القيادة الآدمية، وتؤكد أن نعمة السكنى مُنحت له، ثم سُركت فيها زوجه تبعًا، وهذا الأسلوب شائع في العربية حين يُراد إبراز المخاطب الأول أو تحميلة أصل المسؤولية.

لكنّ البنية تتغيّر عند الانتقال إلى النهي: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فنأتي الصيغة مثناة مباشرة دون فصل أو تقديم أحدهما على الآخر، لتدلّ على أن دائرة التحذير مشتركة، وأن المسؤولية هنا جماعية لا فردية؛ فكلُّ منهما قادر على نقض العهد، ولذلك جاء الخطاب مُحكمًا يُغلق أبواب التذرع والالتفاف.

إن التوقف عند قوله تعالى: ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يكشف مستوى مدهشًا من الرحمة الإلهية المتجلية في أدقّ تفاصيل الخطاب القرآني، فالتحديد هنا ليس مجرد بيان لموضع النهي، بل هو عناية تربوية تجعل من التحذير سياجًا رحيماً، فلو أن النهي ورد بصيغة عامة - من غير تعيين ولا إشارة - لتحوّل الامتحان إلى معادلة مُربكة، ولأصبحت الجنة بسعتها (رغدًا) حقلاً من الشك والارتياب، يبحث فيه آدم وزوجه عن المحظور في كل موضع، فتضيق فسحة المباح، وتتقلّص مساحة الأمان، لكن رعاية الله شاءت أن يكون النهي محددًا بنقطة واحدة في فضاء واسع من المباح، وكأن الخطاب يقول لهما: (هذه هي الشجرة ... وما عداها فهو مباح لكما، متاح برغد بلا قيد).

وعلى الرغم من هذا البناء المحكم الذي جمع بين التكريم والرخاء والتحذير، فإن الطبيعة البشرية بما رُكّب فيها من رغبة في الاكتشاف والاقتراب من الممنوع (الفضول) التفت بوسوسة الشيطان، فكانت الشرارة الأولى للسقوط في الابتلاء، «ولعلّ اجتماع العنصرين: الفضول البشري + وسوسة الشيطان، يشكّل النموذج الأول لمعادلة المعصية في التاريخ الإنساني»، اقتراب ثم وقوع، (اقتربًا + أكلاً)<sup>(١)</sup>.

(١) الأفق الجمالي في القرآن الكريم: ١٦.

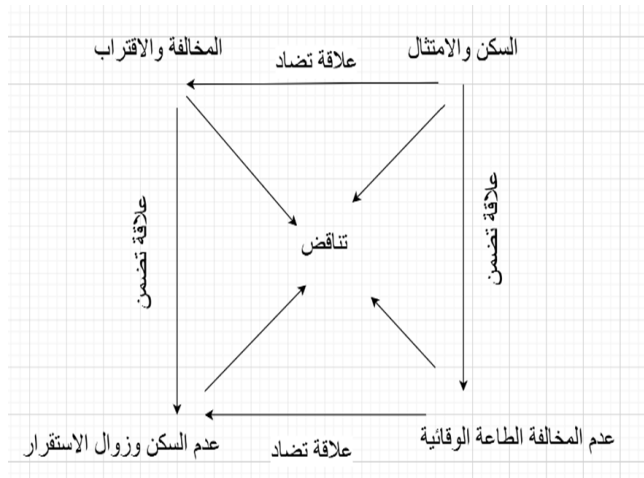
يؤسس المربع السيميائي لمشهد النهي العلاقات السيميائية الآتية:

س١: (الإباحة/ السكن) يمثل الإثبات والتشاكل الأول.

س٢: (التحريم/ الشجرة): يمثل التضاد (الممنوع).

لا س١: (التحذير من العدو): يمثل نفي الطمأنينة المطلقة، وهو جسر يمهد لانكسار التشاكل.

لا س٢: (الخروج من الجنة/ الشقاء): يمثل نفي النعيم، وهو النتيجة المنطقية لاستبدال الإباحة بالوقوع في المحذور.



## خاتمة:

اضطلعت هذه الدراسة بإيضاح المحور الدلالي أو البنية الدلالية الكبرى التي مثلت البنية العميقة لقصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم؛ وتمثل هذا المحور الدلالي في «مبدأ الاستخلاف الإلهي» وما يتفرع عنه من ثنائيات الطاعة والمعصية، والعلم والجهل، وقد كشفت الدراسة عن هذا المحور من خلال التحليل السيميائي المتمثل في مفهومي التشاكل والتباين، ودورهما في بيان البنية الدلالية العميقة التي تربط بين منطوق النص (البنية السطحية) ومراميه الكلية (البنية العميقة).

وقد اتخذت الدراسة عناصر (الملائكة وإبليس) و(آدم والشجرة) نماذج تطبيقية للمقاربة السيميائية، مستعينة بالمربع السيميائي لضبط العلاقات المنطقية التي تحكم مسارات الشخصيات والقيم داخل النص القرآني، ومن هنا فقد خرجت الدراسة بالنتائج والتوصيات الآتية:

## أولاً: النتائج:

تُختتم هذه الدراسة بالتأكيد على أن الهدف الرئيس الذي انطلقت منه، والمتمثل في الكشف عن آليات إنتاج المعنى في الخطاب القرآني من خلال مقارنة سيميائية قائمة على ثنائيتي التشاكل والتباين، قد تحقق بدرجة معتبرة، وإن ظل مفتوحاً على إمكانات تطوير أوسع. فقد سعت الدراسة إلى تجاوز القراءة التفسيرية الوصفية، والانتقال إلى تحليل البنية الدلالية العميقة التي تنظم العلاقات بين الشخصيات والقيم داخل النص القرآني، متخذة من قصة آدم عليه السلام نموذجاً تطبيقياً، لما تنطوي عليه من كثافة رمزية وتوتر قيمى بالغ الدلالة.

وقد بينت النتائج أن المنهج السيميائي، بما يتيح من أدوات إجرائية دقيقة، قادر على تفكيك الخطاب القرآني دون المساس بخصوصيته النصية أو العقديّة، بل يسهم في إبراز انسجامه الداخلي وتماسكه الدلالي. فاعتماد الثنائيات المتضادة، مثل الطاعة والاستكبار، والتذكّر والنسيان، والسكنى في الجنة والهبوط إلى الأرض، لا يفهم بوصفه تعارضاً سردياً فحسب، وإنما بوصفه آلية بنائية لتثبيت القيم العقديّة وتوجيه الوعي الإنساني. وفي هذا السياق، أظهر مفهوم التشاكل في قصة آدم تمثلاً واضحاً للانسجام بين الأمر الإلهي والاستجابة الفطرية، كما تجسّد في موقف الملائكة، وفي

## نظام السكنى في الجنة قبل لحظة الاختلال.

كما أبرزت الدراسة أن دلالة الاستخلاف لا تُستوعب في بعدها المفهومي المجزء، وإنما تتشكل عبر شبكة من العلاقات المنطقية التي يكشفها المربع السيميائي، حيث تتقابل الطاعة والاستكبار، ويتوسط النسيان بوصفه حالة إنسانية قابلة للتجاوز بالتوبة. وقد مكّن تحليل السيمات الصغرى، من قبيل: (أبى، استكبر، سجدوا، لا تقربا)، من الكشف عن البنية العميقة التي تحكم تحولات الشخصيات، وتضبط انتقالها من وضع دلالي إلى آخر، بما يؤكد أن القصص القرآني ليس سردًا تاريخيًا، بل خطابًا موجّهًا ذا وظيفة هداية وتربية.

ومع ما أحرزته الدراسة من نتائج، فإن النقد الذاتي يقتضي الإقرار بأن الاقتصار على نموذج واحد، هو قصة آدم عليه السلام، يحدّد نسبيًا من تعميم النتائج، كما أن التركيز على المربع السيميائي بوصفه الأداة المركزية قد همّش أدوات سيميائية أخرى كان يمكن أن تثري التحليل، مثل سيميائية الزمن أو الأفعال السردية. غير أن هذا الاختيار المنهجي جاء منسجمًا مع هدف الدراسة، الرامي إلى اختبار فاعلية التشاكل والتباين في بناء المعنى، لا إلى استنفاد جميع أدوات السيميائيات.

## ثانيا: التوصيات:

وانطلاقًا من ذلك، تفتح هذه الدراسة آفاقًا بحثية مستقبلية متعددة، من أبرزها: التوسع في توظيف المربع السيميائي في تحليل شخصيات قرآنية أخرى، ودراسة سيميائية المكان في القصص القرآني بوصفها بنية تباينية مولدة للمعنى، إضافة إلى رصد التشاكل العابر للسور في القصص المتكرر، للكشف عن تنوع السيمات الدلالية بحسب المقام والسياق.

وبذلك، تسهم هذه الدراسة في ترسيخ سيميائية الخطاب القرآني مجالًا معرفيًا واعدًا، قادرًا على الجمع بين الدقة المنهجية وعمق الدلالة، وتحقيق تفاعل خلاق بين التراث التفسيري والمناهج اللسانية المعاصرة.

## المصادر والمراجع

١. الاتجاهات السيميوطيقية التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، عبد اللطيف جنيدل، دار الحرف للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٨م.
٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٣. أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، ترجمة طلال وهبة، المنطقة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٤. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.
٥. البلاغة والأسلوبية نحو نموذج لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق الأوسط، المغرب، ١٩٩٩م.
٦. البيان والتبين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٨. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ١٩٨٦م.
٩. التحليل السيميائي للخطاب الشعري، عبد الملك مرتاض، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب

- العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١١. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة للتوزيع والنشر، ط ١، ٢٠١٣ م.
١٢. الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشاري، دار العرب، دمشق، سوريا، ٢٠١٢ م.
١٣. درة التنزيل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٤. دلالية النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، عبد القادر فيدوح، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ١٩٩٣ م.
١٥. السيميائية وفلسفة اللغة، إمبرتو أيكو، ترجمة: أحمد الصمعي، المنطقة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥ م.
١٦. السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠١١ م.
١٧. العلامات في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، أحمد حساني، دار وجوه للتوزيع والنشر، الرياض، ط ١، ٢٠١٥ م.
١٨. علم اللغة العام، دي سوسير فردينان، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط ٣.
١٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.
٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الحواشي: ليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
٢١. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، المحقق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

٢٢. المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٣. معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٤. معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية لعلوم ناشرون، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
٢٥. معجم مصطلحات السميوطيقا، برونوين مارتن، المركز القومي للترجمة، العدد ١١٩٦، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦. مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

## References

1. al-Itti jāhāt al-sīmiyūṭīqīyah: al-tayyārāt wa-al-madāris al-sīm-iyūṭīqīyah fī al-thaqāfah al-gharbīyah, ‘Abd al-Laṭīf Junaydal, Dār al-Ḥarf lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Dār al-Bayḍā’, ṭ. 1, 2008.
2. al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, al-muḥaqqiq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1394 H/1974.
3. al-‘Alāmāt fī al-turāth al-lisānī al-‘Arabī: qirā’ah lisānīyah wa-sīmiyā’īyah, Aḥmad Ḥassānī, Dār Wujūh lil-Tawzī‘ wa-al-Nashr, al-Riyāḍ, ṭ. 1, 2015.
4. Asas al-sīmiyā’īyah, Dāniyāl Tshāndlar, tarjamat Ṭalāl Wahbah, al-Munḥamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, Bayrūt, Lubnān, ṭ. 1, 2008.
5. al-Bayān wa-al-tabyīn, ‘Amr ibn Baḥr ibn Maḥbūb al-Kinānī bi-al-walā’, al-Laythī, Abū ‘Uthmān, al-shahīr bi-al-Jāhīz, taḥqīq: ‘Abd al-Salām Hārūn, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, ṭ. 7, 1998.
6. al-Balāghah wa-al-uslūbīyah: naḥwa namūdhaj li-taḥlīl al-naṣṣ, Hinrīsh Blīth, tarjamat Muḥammad al-‘Umarī, Afrīqiya al-Sharq al-Awsaṭ, al-Maghrib, 1999.
7. al-Burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, Abū ‘Abd Allāh Badr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Bahādur al-Zarkashī, al-muḥaqqiq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakā’ihi, ṭ. 1, 1376 H/1957.
8. al-Khiṭāb al-Qur’ānī: muqārabah tawṣīfiyah li-jamālīyat al-sard al-i’jāzī, Sulaymān ‘Ashrātī, Dār al-‘Arab, Dimashq, Sūriyā, 2012.

9. al-Muṣṭalaḥ al-sardī, Jīrāld Brins, tarjamat ‘Ābid Khazindār, al-Majlis al-A‘lá lil-Thaqāfah, al-Qāhirah, ٢. 1, 2003.
10. al-Sīmiyā’īyah wa-falsafat al-lughah, Imbirtū Īkū, tarjamat: Aḥmad al-Ṣam‘ī, al-Munṣamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, Bayrūt, ٢. 1, Bayrūt, 2005.
11. al-Sīmiyūlūjiyā bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, Jamīl Ḥamdāwī, Maṭba‘at al-Warrāq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ‘Ammān, al-Urdunn, ٢. 1, 2011.
12. al-Taḥlīl al-sīmiyā’ī lil-khiṭāb al-shi‘rī, ‘Abd al-Malik Murtāḍ, Wahrān: Dār al-Gharb lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ٢. 1, 2016.
13. al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr al-Tūnisī, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Tūnis, 1984.
14. al-Ta‘rīfāt, ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Zayn al-Sharīf al-Jurjānī, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, Bayrūt-Lubnān, ٢. 1, 1403 H/1983.
15. Dalā’iliyat al-naṣṣ al-adabī: dirāsah sīmiyā’īyah lil-shi‘r al-Jazā’irī, ‘Abd al-Qādir Faydūḥ, Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘iyah, Wahrān, 1993.
16. Durrat al-tanzīl, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh al-Iṣbahānī al-ma‘rūf bi-al-Khaṭīb al-Iskāfī, dirāsah wa-taḥqīq wa-ta‘līq: D. Muḥammad Muṣṭafá Āydīn, Jāmi‘at Umm al-Qurá, ٢. 1, 1422 H/2001.
17. ‘Ilm al-lughah al-‘āmm, Dī Sūsīr Firdīnān, tarjamat: Yū’īl Yūsuf ‘Azīz, Dār Āfāq ‘Arabīyah, Baghdād, ٢. 3.
18. Khaṣā’iṣ al-ta‘bīr al-Qur’ānī wa-simātuhu al-balāghīyah, ‘Abd al-‘Azīm al-Maṭ‘anī, Maktabat Wahbah lil-Tawzī‘ wa-al-Nashr, ٢. 1, 2013.

19. Kitāb al-‘Ayn, Abū ‘Abd al-Raḥmān al-Khalīl ibn Aḥmad ibn ‘Amr ibn Tamīm al-Farāhīdī, al-muḥaqqiq: D. Maḥdī al-Makhzūmī, Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
20. Lisān al-‘Arab, Muḥammad ibn Mukarram ibn ‘Alī, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Ibn Manzūr, al-ḥawāshī: lil-Yāzījī wa-jamā‘ah min al-lughawīyīn, Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ. 3, 1414 H.
21. Ma‘ānī al-Qur‘ān, Abū al-Ḥasan al-Majāshi‘ī bi-al-walā’ al-Balkhī thumma al-Baṣrī al-ma‘rūf bi-al-Akhfash al-Awsaṭ, taḥqīq: al-duktūrah Hudá Maḥmūd Qarā‘ah, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, ṭ. 1, 1411 H/1990.
22. Majāz al-Qur‘ān, Abū ‘Ubaydah Ma‘mar ibn al-Muthannā al-Taymī al-Baṣrī, al-muḥaqqiq: Muḥammad Fu‘ād Sizkīn, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1381 H.
23. Maqāyīs al-lughah, Ibn Fāris, al-muḥaqqiq: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 H/1979.
24. Mu‘jam al-sīmiyā’iyāt, Fayṣal al-Aḥmar, al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm Nāshirūn, al-Jazā’ir, ṭ. 1, 2010.
25. Mu‘jam muṣṭalahāt al-sīmiyūṭīqā, Brūnwīn Mārtin, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, al-‘adad 1196, al-Hay‘ah al-‘Āmmah li-Dār al-Kutub wa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, ṭ. 1, 2008.
26. Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar, Ibrāhīm ibn ‘Umar ibn Ḥasan al-Ribāṭ ibn ‘Alī ibn Abī Bakr al-Biqā‘ī, Dār al-Kitāb al-Islāmī, al-Qāhirah.
27. Taḥlīl al-khiṭāb al-shi‘rī: iṣṭrātījīyat al-tanāṣṣ, Muḥammad Miftāḥ, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Maghrib, ṭ. 2, 1986.

